المتحدة هي الحامية للانظمة العربية، وضامنة استقرارها الامني والغذائي. وكنتيجة لهذا العامل، تغيّرت نظرة الانظمة العربية الى اسرائيل، التي لم تعد العدو الاستراتيجي للامة العربية، او انها تشكل خطراً على استقرارها، بل اصبحت اسرائيل، بالنسبة اليهم، امراً واقعاً لا ضرر منه، تحتّم المصلحة الاقليمية لهذه الانظمة وموقفها الجديد من الغرب ان تعترف باسرائيل وتدمجها ضمن نظام امني اقليمي؛ اي ان العلاقة تحوّلت، او هي في طريقها الى التحوّل، من علاقة عداء معلن وتعايش ضمني، الى علاقة تعايش واعتراف معلن وتحالف ضمني. وبديهي ان هذه التحوّلات، في مستوياتها الثلاثة، لا تخدم المشروع القومي الوحدوي العربي.

ثامناً: لقد افرزت ازمة الخليج، وما رافقها من تحركات جماهيرية ورسمية، ظاهرة تحوّل في الفعالية القومية الجماهيرية والفكرية من المشرق العربي الى المغرب العربي، حيث كان الجمهور العربي المغاربي شديد التعبير عن الموقف القومي، سواء على مستوى تحرك الشارع او مستوى المثقفين، وهذا الامر يحتاج الى وقفة تفسير لهذا التحوّل الذي يناقض ما كان سائداً من ان دول المغرب العربي غير معنيّة بالفكر القومي وغير منجذبة الى فكرة الوحدة العربية. الّا ان للايديولوجية القومية الناهضة في المغرب العربي سماتها الخاصة، والتي أهمّها بعدها من القومية العلمانية، التي كانت سائدة في المشرق العربي، وقربها من قومية عربية اسلامية قريبة من تزاوج وتعايش العروبة والاسلام في الحضارة العربية الاسلامية في أوج ازدهارها. وقد يكون مرجع ذلك بنية المجتمعات المغاربية، من حيث عدم وجود طوائف مسيحية فيها، ووجود البربر الذين صهرهم الاسلام في بنية عربية اسلامية؛ وبالتالي، لقد تقبّلوا العروبة ان كان مدخلها ومحتواها اسلاميين. ورفضوها في غير ذلك من الحالات.

---

(١) ومع ذلك، فالأنظمة العربية ليست على الدرجة ذاتها. فهناك بعض الدول استطاع ان يقطع خطوات هامة على طريق اقامة مجتمع مدني، حيث استطاع كسر حاجز الخوف من الديمقراطية، وافسح في المجال للشعب بأن يقول كلمته. الّا ان هذه الديمقراطية لها خصوصيتها. فهي ديمقراطية ابوية، او موجّهة؛ اي انها لم تنطلق من القاعدة، بل من القمّة. فالحاكم هو الذي يضع قواعدها واصولها ويحدّد موقع وحدود كل الاطراف المشاركة فيها.

(٢) يأخذ مفهوم «الثورة» في العالم العربي دلالة خاصة به، تبعدها عن المعنى الاصطلاحي الحقيقي للكلمة، ذلك ان حوالى نصف الأنظمة العربية هو انظمة جمهورية، قادتها وصلوا الى السلطة من طريق «ثورة»، او ثورة على الثورة، او متابعة مسيرة ثورية لمن سبقوهم. ومع ذلك، فان الثورة، هنا، لا تعني ثورة شعب بل تمرّد نخبة؛ ولا تعني ثورة اجتماعية تسعى الى تغيير جذري لأوضاع المجتمع، بل تعني ثورة نخبة، غالباً عسكرية، على شخص او نخبة؛ وبالتالي، فان الثورة تعتبر انها انجزت مهمتها بمجرد سقوط القيادة السياسية السابقة. ونادراً ما يتعمّق مفهوم الثورة ليسعى الى تثوير اوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فالثوار الجدد، لافتقادهم الشرعية الشعبية ولعجزهم عن التجاوب مع متطلبات الشعب، يصبح هاجسهم الوحيد الحفاظ على نظامهم ووجودهم، والتصدي للمؤامرات التي تحاك ضدهم، او يعتقدون بوجودها. أمّا تثوير الواقع، فيترك لثورة مقبلة، وهكذا دواليك.

(٣) الملاحظ ان المثقفين الذين لم يؤيدوا العراق في الحرب، اعتماداً على تبريرات مسبقة، كانوا من أشد المتحمّسين للرئيس صدام حسين والممجّدين له قبل اندلاع أزمة الخليج.

(٤) لقد وعت الدول المتحالفة ضد العراق عمق التعاطف الشعبي مع العراق والمعارضة الشعبية العربية للتحالف؛ كما انها كانت مدركة لتأثير